الخصائص المعمارية للخانات الإسلامية ـ حالة دراسية: خان الوكالة في مدينة نابلس

Architectural Characteristics of the Islamic Caravanserais Case Study: Khanalwakalah in the City of Nablus

محمد عتمة

Mohammed Itma

قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة النجاح الوطنية

بريد الكتروني: moitma@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠٠٨/٣/٢٣)، تاريخ القبول: (٢٠١١/٣/٩)

ملخص

تناقش هذه الدراسة موضوع عمارة الخانات الإسلامية، وتلقي الضوء على عمارة مبنى خان الوكالة في مدينة نابلس كأحد النماذج الباقية لعمارة الخانات العثمانية في فلسطين. وتهدف إلى جمع وتحليل المزيد من المعلومات عن خان الوكالة الذي لما يحظى بدراسة تاريخية شاملة، مع انه محط أنظار الفلسطينيين منذ قيام بلدية نابلس (عام ٢٠٠٥ وحتى تاريخ إعداد هذه الدراسة) بترميمه لاستخدامه كمجمع تجاري. وقد تكون أي معلومة تتوصل إليها هذه الدراسة محل اهتمام القائمين على المشروع. تقارن الدراسة العناصر المعمارية الأصلية لخان الوكالة ـ قبل زلزال ١٩٢٧ـ مع مثيلاتها من الخانات الإسلامية، لفحص ما إذا كانت تلك العناصر تنسجم في خصائصها مع مقاييس بناء الخانات الإسلامية في الفترة العثمانية أم لا. وتخلص الدراسة إلى أن خصائص خان الوكالة تتماشى بشكل عام مع الخانات التي بنيت داخل المدن، فهو لا يحتوي على الأسوار والخدمات الموجودة في الخانات المبنية خارج المدن. إلا أن طبيعة الموقع الذي بني فيه خان الوكالة أعطى العناصر المكونة له تميزا عن باقي الخانات التي بنيت في عصره، ولاسيّما الفناء الداخلي غير المنتظم، على عكس ما هو دارج في معظم الخانات الإسلامية الأخرى ذات الأفنية المنتظمة.

Abstract

This study discusses the subject of Islamic caravansaries and sheds light on the architectural components of the Khan-al-Wakalah building in Nablus -one of the model Ottoman caravansaries in Palestine- It aims to collect and analyze more information on the Khan-al-Wakalah. This

building is at the center of attention for Palestinians, because it will be re-used as a commercial center after the restoration works of the municipality of Nablus are completed. As a comprehensive historical study of the Khan-al-Wakalah does not exist, any supplementary information reached by this study may be of interest to the institutions working on the project. The study compares the original architectural components of the Khan-al-Wakalah -before the earthquake of 1927– with those components of other Islamic caravansaries. The objective is to examine whether these components meet Islamic standards for building caravanserais at the Ottoman period or not. The study concludes that most of the architectural characteristics of the Khan-al-Wakalah match the general standards of Islamic khans which were built inside cities, as it does not contain defense walls or other services that used to be found in caravanserais which were built outside cities. However, some of it's components have distinctive shapes, cause of the nature of the site where Khan-al-Wakalah was built. One especially the shape of the courtyard which proves to be irregular, contrary to what is common in most other regular courtyards of Islamic khans.

مقدمة الدراسة

تعتبر فلسطين من الدول الغنية بالموروث الحضاري والعمراني المرتبط بالأحداث التاريخية والدينية الهامة على المستويين العالمي والمحلي، فالمدن الفلسطينية زاخرة بالمباني والآثار الرومانية، والبيزنطية، والإسلامية. وبالإضافة إلى أهمية فلسطين الدينية والروحية المتجسدة في معالمها التراثية المميزة كالمسجد الأقصى المبارك، الصخرة المشرفة، وكنيسة القيامة وغيرها، يميزها أيضا ما لديها من "المباني التاريخية" [١] في العديد من المراكز التاريخية للمدن والقرى، تتمثل بالمباني السكنية، والحمامات العامة، والصبانات، والخانات. وغيرها.

لا شك أن في دراسة موضوع المباني التاريخية أهمية كبيرة على الساحة الفلسطينية، فهي ترتبط بذكريات وتاريخ شعب بأكمله. مع ذلك تفتقر المكتبة الفلسطينية إلى وجود الزخم الكافي

(١) هي المباني التي تشكل في مجموعها التراث المعماري لمنطقة ما، وتحمل قيما تاريخية (historical values) اكتسبتها اما من خلال تميزها المعماري والجمالي، عمرها الطويل، أو ارتباطها بأحداث مهمة حدثت في المنطقة. (Feilden, 1994, p1).

من الدراسات التي تناقش القيم التراثية الهامة التي تمثلها تلك المباني. مع انها تحتوي على القليل من الكتب والأبحاث التي تصب في موضوع تاريخ التراث المعماري الفلسطيني، الا انه لا يوجد دراسات فلسطينية كافية تعمل على توثيق وتحليل المباني التاريخية التي تزخر بها المدن والقرى الفلسطينية.

فبالحديث عن خان الوكالة مثلا نجد أنه يمثل سجلا تاريخيا وتوثيقا لعمارة الخانات الإسلامية في فلسطين، وأي دراسة تتعلق بهذا النوع من المباني التاريخية، قد تلعب دورا هاما في الحفاظ عليها وحمايتها من الاندثار الذي يوشك أن يكون محتما في ظل الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة التي تحيط بالمدن والقرى الفلسطينية.

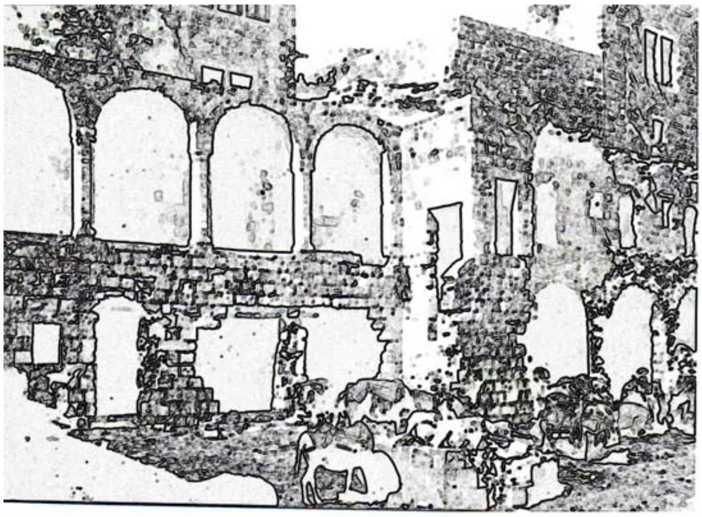

شكل (١-١): مبنى خان الوكالة بعد زلزال ١٩٢٧. (مكتب مشروع خان الوكالة- نابلس).

لقد تطرقت بعض الدراسات السابقة إلى موضوع الخانات الإسلامية في فلسطين، لكنها بقيت محدودة وقليلة بالمقارنة مع الدراسات التي أجريت على غيرها من المواضيع. ومن ابرز هذه الدراسات، دراسة الدكتور مروان أبو خلف عن الخانات في فلسطين والمنشورة في مجلة Levant الصادرة في مدينة القدس، والتي تطرق فيها بشيء من التفصيل إلى التطور التاريخي لخان يونس في غزة.(Abu Khalaf, 1982, p178) .

كذلك تناولت بعض الدراسات غير المنشورة -والتي يقوم بها طلاب الماجستير في قسم العمارة في جامعة النجاح الوطنية[١]- تناولت بعض الأمور المتعلقة بمبنى خان الوكالة كدراسة الإجراءات التي يقوم بها فريق الحفاظ على المبنى، ومقارنتها مع مبان أخرى تم ترميمها مثل قصر القاسم في بيت وزن-نابلس. كذلك قام بعض طلاب الماجستير بالبحث في سجلات المحكمة الشرعية عن أية معلومات قد تشير إلى تاريخ بناء خان الوكالة، وكانت النتيجة هي ترجيح الافتراض بان خان الوكالة قد بني في منتصف القرن الثاني عشر الهجري.(عاصي وآخرون،٢٠٠٦،ص٣)

أما هذه الدراسة فتهدف بشكل أساسي إلى زيادة المعرفة بالخصائص المعمارية لمبنى خان الوكالة -التي لم تتطرق إليها أي من الدراسات السابقة- من خلال إلقاء الضوء على العناصر المعمارية المكونة لخان الوكالة ودراسة خصائصها، لبيان مدى تشابهها أو اختلافها مع العناصر المعمارية للخانات الإسلامية في الفترة العثمانية، ومن ثم الخروج في النهاية بنتائج الدراسة.

منهجية الدراسة

يتبع الباحث في الجزء الأول من هذه الدراسة المنهج التاريخي في دراسة وتحليل أشكال وعناصر الخانات الإسلامية، من خلال عمل مسح على المراجع الانجليزية والعربية المتوفرة، وكذلك تصفح الكثير من المواقع الالكترونية العربية والأجنبية للمؤسسات العالمية ومواقع الشركات والمجلات والصحف التي تهتم بنفس الموضوع، من اجل الحصول على فكرة عن الخصائص المعمارية للخانات الإسلامية وتدوين الملاحظات التي تخدم أهداف الدراسة. كذلك يتبع الباحث في الجزء الثاني من هذه الدراسة المنهج الاستدلالي بالمقارنة ما بين عناصر وفراغات خان الوكالة الأصلية حسب تصور بلدية نابلس للخان قبل زلزال ١٩٢٧، وما بين العناصر والفراغات القياسية لبناء الخانات الإسلامية، للوصول إلى نتائج الدراسة.

محاور الدراسة

يعمل الباحث على تناول هذه الدراسة من محورين أساسيين: المحور الأول هو الخانات الإسلامية: أشكالها، وعناصرها الأساسية، وأنواعها. أما المحور الثاني فيتناول الخصائص المعمارية لخان الوكالة في مدينة نابلس ويحلل فراغاته وعناصره المعمارية بالمقارنة مع المقاييس العامة لبناء وتصميم الخانات الإسلامية والتي تناولها الباحث في المحور الأول.

---

(١) تم في عام ٢٠٠٥ على هامش مشروع ترميم خان الوكالة في مدينة نابلس، تنظيم عدة فعاليات تهدف إلى رفع مستوى عمليات الحفاظ المعماري في فلسطين. منها تقديم منحة مالية لنخبة مختارة من الطلاب ذوي الخبرة في مجال الحفاظ المعماري لنيل درجة الماجستير في العمارة- تخصص حفاظ معماري. (مكتب مشروع خان الوكالة- نابلس)

١. الخانات الإسلامية

كلمة "خان" فارسيّة الأصل، أُطلِقت على مكان مبيت المُسافرين، وهي عند المصريين "وكالة"، بينما يطلق عليها البعض الآخر لفظ "القيسارية" أو "الفندق". جاءت هذه المسميات تعبيرًا عن وظيفة واحدة تقوم بها هذه المباني، وهي أن تكون مأوى للتجار والمسافرين الأجانب والقوافل ومخزنا للبضائع والتجارة بالتجزئة والجملة. هذا بالإضافة إلى أن الخانات كانت مكانًا لعقد الصفقات التجارية، حيث يعرض تجار هذه القوافل بضاعتهم في أفنية الخانات لممارسة البيع والشراء أو لتخزينها في حواصل الخان تمهيدا لبيعها لتجار التجزئة في الأسواق المتاخمة للخانات، أو إعادة تصديرها إلى بلدان أخرى. والخان به أيضا وحدات لسكن وإعاشة التجار الغرباء الذين يمكثون فيه لحين انتهاء أعمالهم التجارية وبذلك تكون بمثابة مؤسسات تجارية كبيرة خاصة للسلع التجارية. (٢٠١٠. "خانات دمشق بين الامس واليوم" (http://www.yasmin-alsham.com

١.١.أشكال الخانات الإسلامية

كان الخان مربع المسقط، إجمالا وعدد طوابقه غالبًا لا يتعدى الاثنين في بلاد الشام والعراق، بينما يصل إلى خمسة طوابق في مصر. وكانت غرف المسافرين موزّعة بين الطّبقتين أو في العليا فقط. وفي بعض الخانات المتواضعة، كانت قاعة النّوم مشتركةً يرقدُ فيها المسافرون، على منصّاتٍ مرتفعةٍ عن الأرض وكانوا يجلسون عليها نهارًا. (Sims, 1978, p.100)

من دراسة جدول رقم (١-١) يظهر أنّ الخانات إجمالا، بعد انتشار الإسلام قد اتخذت تصميمين رئيسين: الأول إيراني بقاعات طولية موازية للفناء المركزي. ولكنّ هذا التّصميم ما لبث أن أخذ شكل الأواوين. وقد احتلت البوابة في عمارته مركزًا على جانب كبير من الأهمّية. أما التصميم الثاني فهو بأربعة أضلاع وفناء مركزي مربع أو مستطيل منتظم الزوايا، وأحيانا يكون الفناء مثمن الشكل تحيط به الأروقة، ويعُرف بالطراز المتوسطي.

تأثر تصميم الخانات أيضا بالبيئة المحيطة، فخانات السهول كانت أوسع من خانات الجبال، كما كانت خانات البلاد الباردة بشكل عام تخلو من الصحن المكشوف، كما هو الحال في تركيا والقوقاز والبلقان. أما في العراق فكان تصميم خان مرجان يخلو من الصحن الكشوف بالرغم من

جدول (١-١): الخانات بمختلف أشكالها. (بتصرف Hillenbrand, 1994, p.80-371).

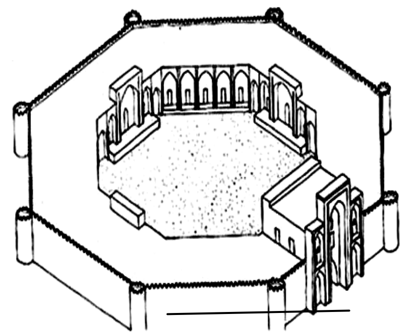	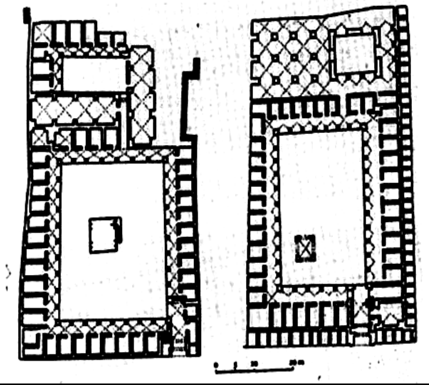
١.خان أمين باد-إيران، نموذج للفناء مثمن الشكل.	٢.خان ابرك وخان خيرباي-حلب، نموذج للفناء المستطيل.
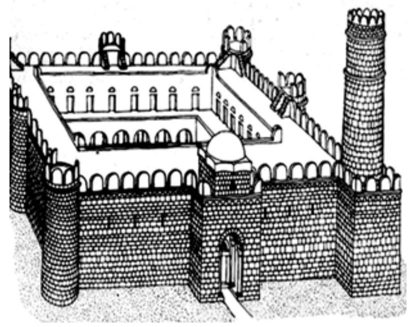	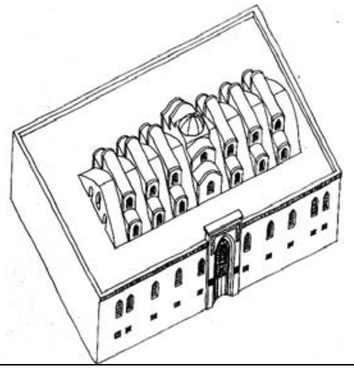
٣.خان سوسة-تونس، نموذج للخانات المحصنة خارج المدن.	٤.خان مرجان-العراق، نموذج للخانات ذات الفناء المسقوف.

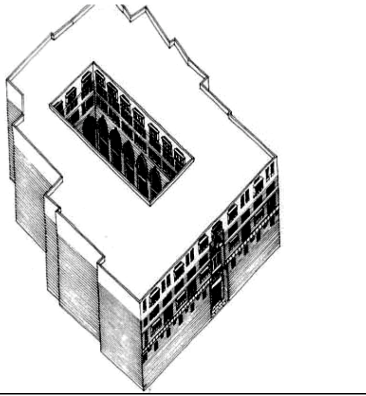	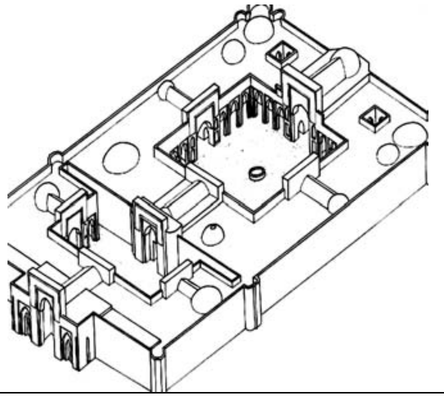
٥.وكالة الغوري- القاهرة، نموذج للخانات متعددة الطوابق	٦.خان شرف-إيران، نموذج للخانات متعدد الأفنية

الجو المعتدل نسبيا هناك جدول رقم (١-١). إلا أن معظم خانات العراق الأخرى جاءت مكشوفة الوسط وكان طرزها أما على الطراز العراقي الذي يكنى ب«ألصفوي»»، والمتكون من إيوانات تضم حجرات محيطة «بالحوش» كما هي المدارس أو العتبات والمشاهد. أو النوع الآخر الذي استعمل الأعمدة الخشبية في رفع الممر العلوي الذي يلج منه إلى الحجرات في الطابق العلوي، والتي كان بناؤها من الآجر كما هو طراز العمارة العراقية. (ثويني، ٢٠٠٤، ص١)

٢.١.العناصر المكونة للخانات الإسلامية

اختلفت العناصر المكونة للخانات باختلاف مواقعها، فهناك خانات أقيمت على طرق السّفر خارج المُدن المتباعدة، وأخرى أقيمت داخل المدن والتّجمعات السكنية. كان النّوع الأول يبنى في بادئ الأمر على منابع المياه ومجاري الأنهار، ويبتعد الواحد عن الآخر مسيرة نهار، أي ما يقارب الثلاثين كيلومترًا. وكان الخان يقدّم الخدمات للتّجار والرّحالة والمُسافرين كافة، ويوفّر لهم الراحة ويجنّبهم مشقّة ومخاطر السّفر ليلاً. (محمد، ١٩٩٣، ص٢٧)

أما النّوع الثاني فكان خانات المدن التي غالبا ما احتلّت مداخل المدن -خارج السّور أو داخله- أو قلب الأسواق جوار الحمام والمسجد. وكانت تشترك مع خانات الطّرق في ما تقدّم من خدمات، لكنها تخلو من وسائل الدفاع والحماية، إضافة إلى ما كان يمكن أن تقدّمه المدينة بشكل أفضل لزوّارها؛ كالحمام والمسجد والمطعم وشغل البيطار وغير ذلك من الضّروريات والكماليات. (٢٠١٠. "خانات دمشق بين الامس واليوم" -http://www.yasmin alsham.com)

أما من حيث العناصر المعمارية كنسب الفتحات وشكل الفناء والمواد المستعملة في البناء، فقد كانت تختلف من بلد إسلامي لأخر لاختلاف المناخ، والمواد المتوفرة، والصناعات، وعدد السكان..إلى آخره. مع ذلك يمكن إيجاد قواسم مشتركة في الفراغات والعناصر المعمارية التي تميزت بها الخانات الإسلامية عبر التاريخ، كما يتضح في جدول رقم (١-٢).

جدول (١-٢): العناصر المكونة للخانات الإسلامية (الباحث).

١. المدخل الرئيسي ذو الأقواس الضخمة والتي كانت تغلق بواسطة مصرعي باب خشبي مصفح بالحديد والنحاس. يظهر في الشكل المدخل الرئيسي لخان ابادوس- تركيا. الذي بناه السلطان السلجوقي علاء الدين عام ١٢٢٩ م. (2010."Caravanserai of Cappadocia" http://www.goreme.com/caravanserais.php)	
٢. الحوانيت الخارجية التي تفتح على الشارع الخارجي، وهي محلات تجارية لعرض البضائع. ويظهر في الشكل الواجهة الخارجية لوكالة الغوري- القاهرة، تبين المحلات التجارية. (٢٠١٠، "الغورية "، http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=116088)	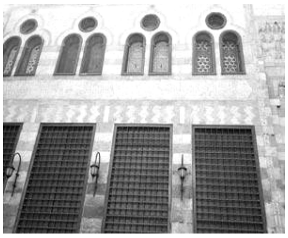
٣. فناء أوسط داخل الخان يتم إنزال البضائع فيه، حيث تميزت عمارة الخانات الإسلامية عبر مراحلها المختلفة بوجود الفناء المكشوف في الداخل. كما احتوت بعض الخانات على أكثر من فناء خاصة الخانات الإيرانية. أما في المناطق الباردة فكان يتم سقف هذا الفناء الداخلي. يظهر في الشكل فناء احد الخانات التراثية في مدينة "سيكي"- اذربيجان. (2010, "The Caravanserai Hotel in Shaki, Azerbaijan" http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Caravanserai_Hotel.jpg)	

٤. مصادر المياه اللازمة للمنشأة، عادة شادروان في وسط الصحن. وبئر لحفظ الماء. يظهر في الشكل الفناء الداخلي يتوسطه الشادروان في خان ابادوس- تركيا. (2010,"Cappadocia, Saruhan caravanserai" (http://www.virtourist.com/europe/turkey/cappadocia/39.htm)	
٥. مخازن لتخزين البضائع، وتوجد داخل الخان مطلة على الفناء، تعلوها طوابق سكنية مخصصة لسكن التجار الأجانب بغرض الإقامة بجوار بضائعهم. كل طابق مكون من حجرة استقبال ومطبخ تعلوه غرفة للمعيشة. يظهر في الشكل الفناء الداخلي للخان العظيم في شمال مدينة نيقوسيا- قبرص. ويظهر فيه المخازن في الطابق الأرضي والغرف السكنية في الطابق الأول. (2010, "Northern Nicosia", http://www1.american.edu/dlublin/travel/nicosia_n.html)	
٦. مواد البناء التي استعملت في بناء الخانات والتي تغيّرت مع تغير الموقع. فقد تكون من طينٍ أو من قرميدٍ مشويّ أو نيئ، في العراق وإيران ومصر، أو من حجارةٍ كلسيه أو بازلتيّة في الشّام وتركيا. يظهر في الشكل المجاور خان قديم مبني من الطين، يبعد ٦٠ كم عن مدينة يازد-إيران. (2010," Caravanserai Zein-o-Din", http://www.flickr.com/photos/zoomzoom/563268/12)	

٢. خان الوكالة

يعتبر خان الوكالة واحدا من المعالم التاريخية الهامة والباقية في مدينة نابلس حتى الآن، وهو عبارة عن مبنى اثري قديم يعود للفترة العثمانية ويقع في الجزء الغربي للمدينة القديمة بنابلس. كان يستخدم كنزل للمسافرين وحيواناتهم ومقر للتجارة، كما أن المبنى استخدم كمقر للجيش في نهاية العهد العثماني.

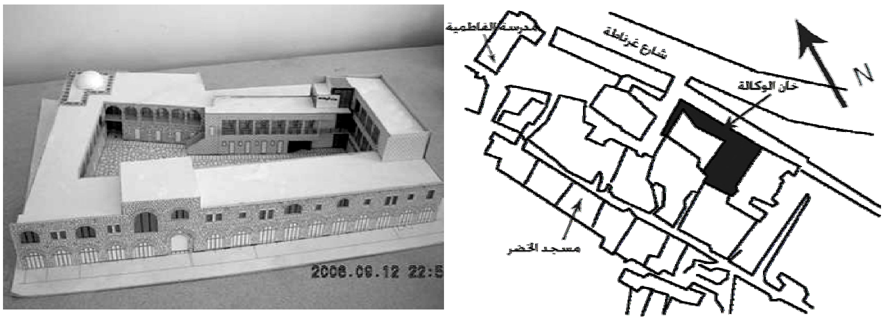

شكل رقم (٢-١): تصور لخان الوكالة في مدينة نابلس بحالته الأصلية. (طلاب قسم العمارة- جامعة النجاح)

فقد المبنى العديد من أجزائه في زلزال عام ١٩٢٧، حين هدم كامل الجانب الغربي من الجزء الجنوبي للفناء وجزؤه الغربي وكان فيه حوالي ١٥ حجرة. ثم تم هدم بوابة الخان بالكامل في اجتياح القوات الإسرائيلية لمدينة نابلس عام ٢٠٠٢.

بعد ذلك قامت بلدية نابلس باستملاكه من "آل عرفات" وهي آخر عائلة امتلكت الخان من اجل ترميمه والاستفادة منه كمشروع شكل رقم (٢-٢): الواجهة الشمالية الداخلية لخان الوكالة أثناء الترميم (الباحث) تجاري يخدم مدينة نابلس (عاصي وآخرون، ٢٠٠٦، ص٣)، بعد أن حصلت على دعم مالي من الإتحاد الأوروبي عن طريق اليونسكو، وتم البدء بتنفيذ المشروع عام ٢٠٠٥ ولا يزال العمل مستمرا حتى تاريخ إعداد هذا البحث. شكل رقم (٢-٢).

١.٢.خصائص العناصر المعمارية لخان الوكالة

يعمل الباحث في البنود القادمة من هذه الدراسة على دراسة وتحليل العناصر المعمارية والفراغية لمبنى خان الوكالة حسب المخطط الأصلي للمبنى -قبل زلزال ١٩٢٧-، والمتمثلة بالفناء الداخلي، المصلى، الشادروان، المدخل، والغرف، ومقارنتها مع المقاييس العامة لبناء الخانات الإسلامية والتي تم التعرض لها في البنود السابقة، للخروج بنتائج وتوصيات الدراسة.

١.١.٢.الفناء الداخلي

في خان الوكالة يلتف البناء حول فناء داخلي مضلع يحتوي على ممرات معلقة تخدم الطوابق العلوية، وعدد كبير من الحجرات موزعة على طابقين في الجهة الشمالية، الشرقية، والجنوبية، وثلاثة طوابق في الجهة الغربية. تمثل الحجرات المطلة على الفناء الداخلي في شكل رقم(٢-٣) المدخل والغرف الداخلية التابعة للخان، في حين تمثل الغرف في أعلى الصورة المحلات التجارية التي تفتح على الشارع الرئيسي. يبلغ متوسط عرض الحجرة الواحدة ٢.٥م وعمقها حوالي ٣ أمتار كانت تستخدم للنوم في الطوابق العلوية أما السفلية فقد كانت تستخدم كإسطبلات وأماكن لتخزين البضاعة.

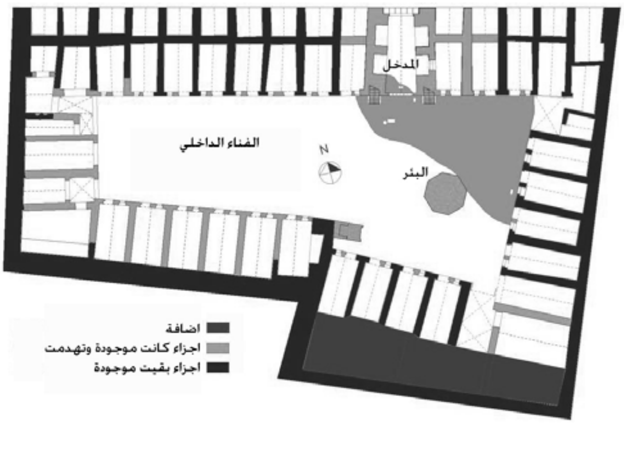

شكل (٢-٣): تصور لمخطط الطابق الأرضي لمبنى خان الوكالة قبل زلزال ١٩٢٧. (بلدية نابلس)

اخذ الفناء المكشوف في خان الوكالة شكلا غير منتظم؛ عبارة عن تصميم مركب من شكلي شبه منحرف شكل رقم (٢-٤)، الأول يميل إلى التربيع ويفتح عليه المدخل والغرف الشرقية من المبنى. والآخر يقترب من الاستطالة وهو عبارة عن موزع للغرف الموجودة حوله لذلك يمتاز بقدر اكبر من الخصوصية عن الأول، ليشكل تراكب الشكلين مع بعضهما الشكل النهائي للفناء، والذي يمثل شذوذا عن معاصريه من الخانات في الفترة العثمانية ذات الفناء المربع أو المستطيل (كما سبق ذكره).

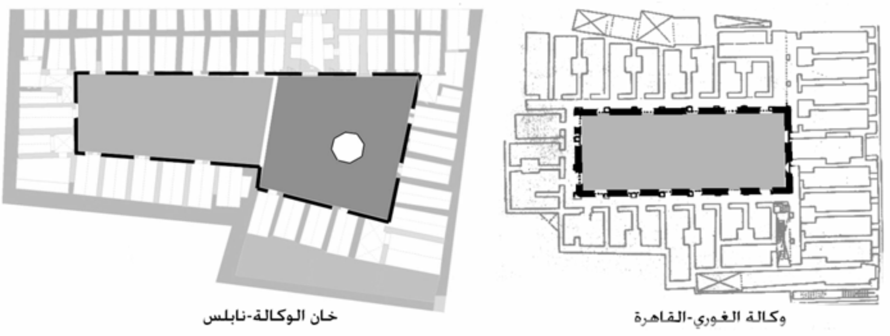

شكل (٢-٤): تحليل لفناء خان الوكالة. (الباحث).

يعزي الباحث سبب هذا الشكل غير المعتاد للفناء في خان الوكالة إلى عدة أسباب محتملة هي:

١. وجود مبنى الخان ضمن نسيج معماري وليس في منطقة فضاء، يجعل من الضروري لشكل المبنى أن يتماشى مع المحيط، وهذا ما يميز العمارة التقليدية في مدينة نابلس "التراكب والانسجام".

٢. لقد تاثر الشكل العام لمبنى خان الوكالة والتركيب الهندسي له بوجوده في ارض غير منبسطة، فطبيعة مدينة نابلس الجبلية فرضت نفسها على التكوين الكلي للمبنى مما انعكس على شكل الفناء الداخلي.

٣. قد يكون من الممكن المحافظة على شكل مستطيل منتظم في بناء الخان، لكن ذلك كان سيحدث فراغات داخلية للغرف غير متساوية وغير منتظمة وهذا غير معهود في عمارة الخانات.

٤. وجود الطريق المحاذي للواجهة الشمالية للخان والمائل بالاتجاه الشمالي الغربي قد لعب دورا هاما في تشكيل هذه المنطقة وبالتالي تشكيل الفناء الداخلي، لأنه من المنطقي للمحلات التجارية التي تفتح إلى الخارج أن تتبع اتجاه الطريق. شكل رقم (٢-٥).

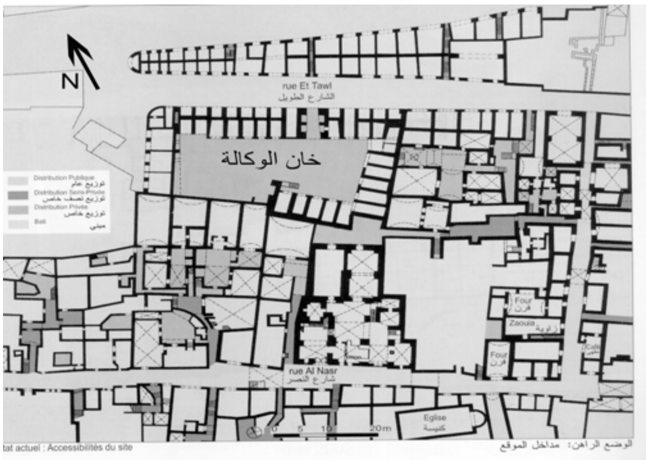

شكل (٢-٥): مخطط الجزء الغربي للبلدة القديمة في نابلس يبين انسجام خان الوكالة مع النسيج المحيط. (بلدية نابلس)

٢.١.٢.المصلى

من الممكن أن يكون خان الوكالة قد احتوى على مكان للصلاة لاستعمال النزلاء المقيمين فيه أسوة بمعظم الخانات التجارية الأخرى في العصر العثماني. وبما أن الكثير من أجزاء المبنى قد تعرضت للدمار في فترات سابقة، فان التأكيد في هذا الموضوع يحتاج إلى شكل رقم(٢-٦): الجزء المفترض لوجود المصلى(الباحث) دراسة أثرية على ارض الواقع.

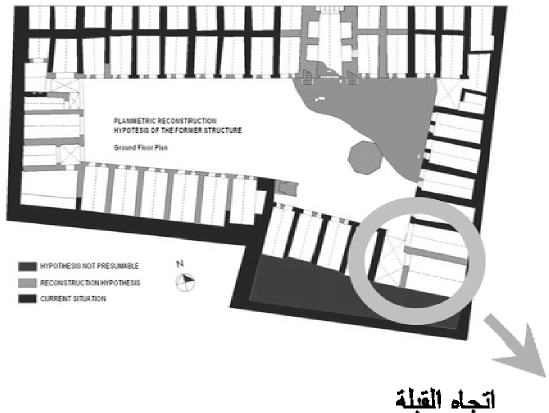

اتجاه القبلة

لكن لو عدنا إلى مخطط الطابق الأرضي حسب التصور لما كان عليه المبنى أصلا قبل الدمار نجد أن الجهة التي يمكن أن يكون فيها المصلى-بحسب الفرضية التي تتبناها وحدة الترميم في بلدية نابلس - هي المنطقة الجنوبية وهي موجهة إلى الجنوب الغربي وليس إلى الجنوب الشرقي بحسب القبلة في تلك المنطقة. شكل رقم (٢-٦)، كذلك لا يرجح الباحث بان المساحة المشار إليها في الشكل السابق والموجودة في المنطقة الجنوبية الشرقية كانت عبارة عن مصلى في السابق للأسباب التالية:

١. تلك المنطقة لا تتجاوز مساحتها مجموع غرفتين من غرف الخان أي حوالي ٨متر مربع وهي مساحة قليلة نوعا ما بالنسبة لمصلى.
٢. بما انه من البديهي أن يكون الضلع الأطول في المستطيل هو حائط القبلة العمودي على اتجاهها نجد أن هذا الحائط موجه نحو الشرق مما يؤكد عكس الفرضية السابقة.
٣. تلك المنطقة كانت تشكل حلقة الوصل بين الصيانة التي تم هدمها من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي وبين الخان، ومن الممكن جدا أن تكون مدخلا للخان من جهة الجنوب خاصة مع وجود الطريق التي تظهر في شكل رقم(٢-٥) محاذية للجدار الجنوبي لخان الوكالة والتي كانت تستعمل في السابق لمرور الناس بين البيوت وصولا إلى الخان والصيانة.
٤. من المفترض حسب التصور للمجسم الذي كان عليه خان الوكالة في السابق شكل رقم (٢-١) أن المنطقة المذكورة مسقوفة بقبة مما يميزها عن الغرف الملاصقة لها، حتى ولو سلمنا بهذا الافتراض فانه يدعم وجود مدخل فرعي للخان في هذه المنطقة، حيث تكرر استخدام القبة في العمارة العثمانية فوق المداخل.

٢.١.٣.الشادروان

يعتبر الشادروان أو (نافورة الماء) الخاصة بالوضوء احد المكونات الأساسية في بناء الخانات، وعادة ما توجد في مركز الفناء المكشوف أو المغطى الخاص بالخان، كمثال على ذلك يظهر في جدول رقم (١-٢) شادروان خان ابادوس في تركيا.

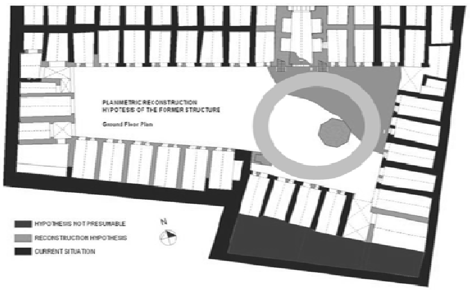

شكل (٢-٧): الجزء المفترض لوجود الشادروان (الباحث).

أما في خان الوكالة فمن غير المؤكد بصورة قطعية المكان الأصلي للشادروان، لكن لو نظرنا إلى المخططات السابقة للخان شكل رقم (٢-٧) نجد أن مكان البئر الموجود في خان الوكالة وهو حسب توقعات بلدية نابلس التي قامت بإعداد تلك المخططات يقع في المنطقة الشرقية الوسطى من الفناء، هذا يرجح أن الشادروان أو بركة الماء الخاصة بالوضوء، كانت تقع في تلك المنطقة بالقرب من البئر وهذا حسب المقاييس المعهودة في بناء الخانات.(محاضرة عن المدن الإسلامية، رطروط، ٢٠٠٧).

٢.١.٤.المدخل

كان مدخل خان الوكالة –المهدم حاليا- يقع على الشارع الذي تمتد على طوله ١٥ دكان تتماثل في عرضها مع الحجرات المطلة على الفناء لكنها اقل عمقا وجميع الحجرات مسقوفة بقباب حجرية كاملة العقد. شكل رقم (٢-٨)

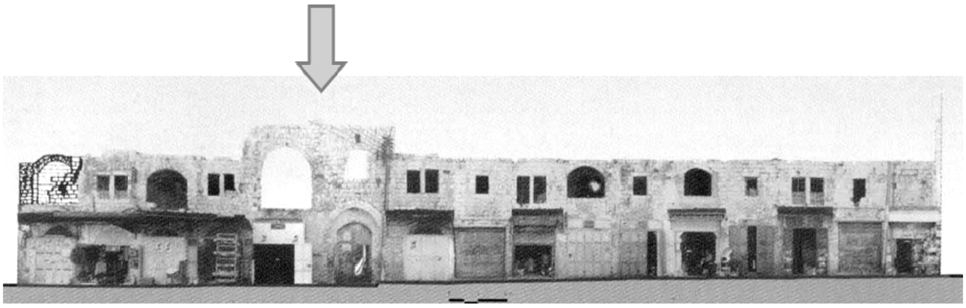

شكل (٢-٨): الواجهة الشمالية لخان الوكالة يظهر فيها مدخل الخان المهدم حاليا والذي يرتفع بارتفاع طابقين. (بلدية نابلس).

بالنظر إلى الواجهة الرئيسية للخان شكل رقم (٢-٨) نجد أن موقع البوابة لم يتوسط الواجهة ربما لينسجم مع التصميم للفناء الداخلي الذي تم تناوله سابقا. أما في معظم عمارة الخانات التي تميل بصفة عامة في تخطيطها إلى السيميترية (التماثل)، فكان المدخل يبنى غالبا في وسط الواجهة الرئيسية. شكل رقم (٢-٩).

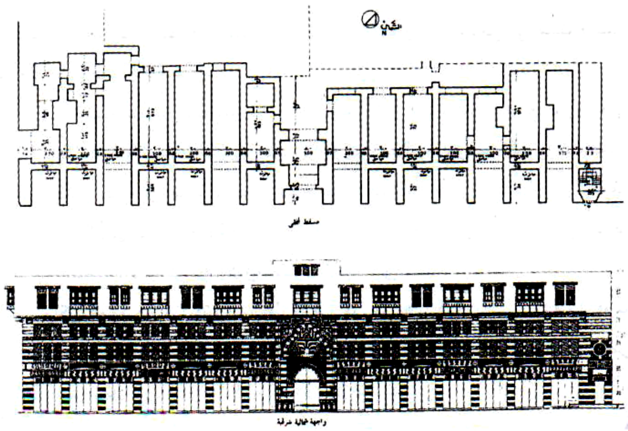

شكل (٢-٩): وكالة السلطان قايتباي-القاهرة.

(٢٠١٠، "وكالة السلطان قايتباي". http://www.discoverislamicart.org/)

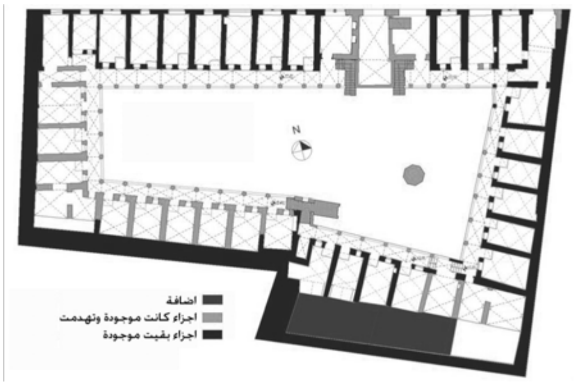

شكل (٢-١٠): تصور لمخطط الطابق الأول لمبنى خان الوكالة قبل زلزال ١٩٢٧. (بلدية نابلس).

٢.١.٥.الغرف

بنيت غرف الخانات في السابق بطريقتين، أما غرف فردية صغيرة الحجم تشبه غرف خان الوكالة، أو غرف بها مساطب كبيرة تستقبل عدد اكبر من الأشخاص وهي للفقراء من المسافرين.

يبلغ عدد غرف خان الوكالة حاليا ٣٥ غرفة، لكل غرفة فتحة مدخل معقودة ويغطيها أما قبو برميلي أو عقد متقاطع، أما الطابق الثاني فيمكن الوصول إليه عبر سلمين حجريين من داخل الفناء المكشوف كانا يقعان على جانبي المدخل المؤدي للخان من جهة الشمال حيث يوجد ممر علوي مكشوف في كل من الجهة الشمالية والشرقية ويصل مجموع الغرف في الطابق الثاني إلى ٤٠ غرفة شكل رقم(٢-١٠).

بعد أن تناول الباحث أهم الخصائص المعمارية لمبنى خان الوكالة، تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض العناصر الجمالية الأخرى والتي وجدت بكثرة في الخانات الإسلامية، مثل المقرنصات فوق المداخل والزخارف فوق الفتحات-جدول رقم(١-٢)- ، لم توجد بكثرة في خان الوكالة، حيث وجد القليل فقط من الأشكال الزخرفيه البسيطة فوق المدخل المهدم حاليا. يمكن ان يتضح الفارق لو قورن خان الوكالة ببعض خانات فلسطين الأخرى كخان يونس مثلا. شكل رقم(٢-١١).

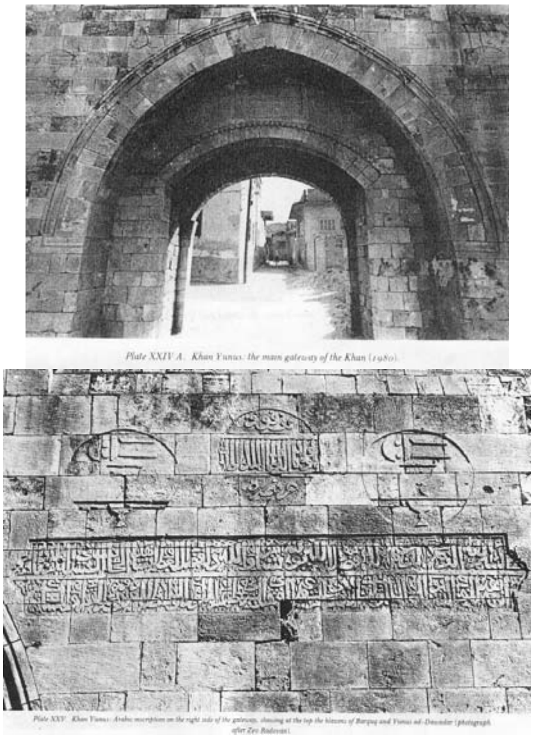

شكل (٢-١١): صورة توضح زخارف الواجهات الخارجية، والمدخل الرئيسي لخان يونس في غزة. (Abu Khalaf, 1982, p178).

٢.٢.النتائج

مما سبق نستنتج أن مبنى خان الوكالة الذي يمثل احد المعالم التاريخية الهامة في مدينة نابلس، - وهو أيضا واحد من الأمثلة القليلة الباقية على عمارة الخانات في فلسطين- لم يحظ بما يستحق من الدراسات التاريخية والمعمارية والأثرية، فالكثير من المعلومات التي يحتاج اليها الباحثون مثل تاريخ بنائه وإنشائه، ونوع البناء الذي كان مبنيا في تلك المنطقة قبل بناء خان الوكالة، وتساؤلات أخرى كثيرة ليس لها إجابات مؤكدة. استنادا لما سبق ونظرا لذلك النقص في المعلومات كان من الضروري للباحث أن يلجأ إلى منهجية المقارنة مع الخانات الأخرى المشهورة في منطقة الشام والعراق ومصر وايران وغيرها، والرجوع إلى المقاييس العامة في بناء الخانات من اجل التوصل إلى عدة نتائج تتعلق ببناء خان الوكالة وهذه أهمها:

١. يشابه بناء خان الوكالة المعايير القياسية في بناء الخانات الإسلامية في عدة أشياء أهمها الغرف، وعدد الطوابق، وطريقة التسقيف، ويخالفها في عدة أشياء أساسية أهمها شكل الفناء، وموقع الشادروان، وشكل وموقع المدخل الرئيسي. وهذا لم يسبق مشاهدته في الخانات الإسلامية التي أجريت عليها هذه الدراسة، مما يجعلنا نعتقد بان مبنى خان الوكالة قد تم بناؤه على مراحل ولم يصمم أصلا من اجل وظيفة الخان.

٢. احتوى خان الوكالة على الأمور الأساسية التي تمتعت بها الخانات في العصر العثماني كغرف النزلاء، غرف البهائم، الساحة، البوابة.. ولكن لم يلحق به الكثير من الخدمات كالحمام والمصلى نظرا لوجوده بالقرب من خدمات المدينة.

٣. تأثر شكل خان الوكالة وبالتالي شكل الفناء الداخلي الخاص به بوجوده ضمن نسيج تقليدي متكامل في مدينة نابلس القديمة يتسم بالتراكب والانسجام.

٤. يتضح أن خان الوكالة قد بني أصلا حسب النوع الثاني للخانات -التي سبق ذكرها- وهي الخانات التي بنيت داخل المدن وذلك لعدم وجود الحصون والأسوار مما يدل على أن المبنى كان ضمن حدود المدينة القديمة على الأقل في العصر العثماني. وكذلك انفتاح المحلات التجارية إلى الخارج يؤكد نفس الافتراض.

إذا كان خان الوكالة قد بني أصلا داخل مدينة نابلس لأنه يتبع لمقاييس الخانات الإسلامية داخل المدن، وكذلك شكل الفناء غير المنتظم يؤشر إلى وجود أنقاض لبناء سابق في نفس المكان، لذا قد تكون هذه الدراسة مقدمة لدراسات مستقبلية تقوم على إثبات فرضية مفادها: أن حدود مدينة نابلس الرومانية كانت تمتد إلى منطقة خان الوكالة. ويكون تدعيم هذه الفرضية بدراسة نتائج الحفريات الأثرية التي أقامتها وزارة السياحة والآثار الفلسطينية، ومركز علوم الأرض وهندسة الزلازل التابع لجامعة النجاح الوطنية في الموقع.

المراجع العربية والأجنبية

- موسى، محمد. (١٩٩٣). الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة، مصر.
- النمر، إحسان. (١٩٧٥). تاريخ جبل نابلس والبلقاء. مطبعة جمعية عمال المطابع. نابلس، فلسطين.
- Hillenbrand, Robert. (1994). Islamic architecture. Columbia University Press. New York, USA.
- Sims, Eleanor. & others. (1978). Architecture of the Islamic world. 1st pbk. ed. Edited by George Michell. Thames and Hudson. London, UK.
- Clermont, Ganneau. (1896). Archaeological researches in Palestine during the years 1873-1874. Committee of the Palestine Exploration Fund. London, UK.
- Feilden, Bernard M. (1994). Conservation of historic buildings. Butterworth Architecture. London, UK.

الصحف

- ثويني، علي. (٢٠٠٤). "الخانات في العمارة العراقية". جريدة الوفاق:٣/٢٢١٠ كانون ثاني،١. طهران. إيران.
- عبد الحميد، محمد. (٢٠٠١). "وكالة بازرعة تحفة للعمارة التجارية في العصر العثماني". بيان الثقافة:٧١/ ٢٠ أيار، ٥. القاهرة. مصر.

المحاضرات والمناقشات الشفوية

- رطروط، هيثم. (٢٠٠٧). جامعة النجاح الوطنية. نابلس: حزيران.

الأبحاث المنشورة

- Abu Khalaf, Marwan. (1982). “Khan Yunus and the khans of Palestine”. Levant, volume (xv),1.178-186

الأبحاث غير المنشورة

- عاصي، أمل وآخرون. (٢٠٠٦). "تاريخ بناء خان الوكالة"، بحث غير منشور. كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.

المواقع الالكترونية

- (2010),"Caravanserai of Cappadocia", http://www.goreme.com/caravanserais.php
- Rom, Gilad. (2010). "The Caravanserai Hotel in Shaki, Azerbaijan", http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Caravanserai_Hotel.jpg
- (2010),"Cappadocia, Saruhan caravanserai", http://www.virtourist.com/europe/turkey/cappadocia/39.htm
- (2010), "Northern Nicosia", http://www1.american.edu/dlublin/travel/nicosia_n.html
- (2010)," Caravanserai Zein-o-Din", http://www.flickr.com/photos/zoomzoom/56326812

- صبحي، شيرين. ٢٠١٠، "الغورية..الروح الشعبية تعانق جمال العمارة"، http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=116088
- تركي، طارق. ٢٠١٠، "وكالة السلطان قايتباي"، http://www.discoverislamicart.org
- الارمشي، عماد. ٢٠١٠، "خانات دمشق بين الأمس واليوم" http://www.yasmin-alsham.com/vb/showthread.php?t=5176